مقدمة

التصوف ظاهرة عالمية

هناك من الناس أفراد يتمثل فيهم النضج العقلي والروحي في أعلى مراتبه، أو قل تتمثل فيهم الإنسانية في أعلى مراتبها وأطوارها إذا اعتبرنا جوهر الإنسان وحقيقته عقله وروحه، وقد اختلفت الأسماء التي أطلقت على هؤلاء الأفراد في العصور المختلفة، ومهما تكن المظاهر المختلفة التي يظهر فيها نضجهم الروحي، والوسائل المتباينة التي يتخذونها في التعبير عنه، بل مهما يكن من اختلافهم فيما يختلف فيه أفراد الناس عامة من حيث المشارب والنزعات والبيئة واللغة والدين، فإنهم يشتركون جميعا في صفة واحدة عامة تتمثل في موقفهم من الوجود وحقيقته ذلك أن لكل إنسان - بما هو إنسان - موقفا خاصا من حقيقة الوجود، أو فلسفة خاصة في طبيعة الوجود، أدرك ذلك من نفسه أم لم يدركه، وعرف أن له من أجل ذلك فلسفة في الحياة أم لم يعرف ذلك الموقف الواحد العام الذي يشترك فيه هؤلاء القوم الذين نتحدث عنهم يتلخص في أنهم ينكرون إنكارا بانا أن « الحقيقة هي ذلك العالم الواقع المحسوس، لأن الواقع المحسوس الذي يتشبث به غيرهم ممن هم أقل منهم نضجا في العقل والروح ويكادون يقدسونه، لا يشبع في طاقتنا نزعاتهم الروحية العالية، ولا يروي فيهم غلة الشوق إلى معرفة الحقيقة « المجردة التي تصبو نفوسهم إلى معرفتها والاتصال بها نجد هؤلاء القوم في الشرق والغرب، في العالم القديم والمتوسط والحديث بين أهل الديانات الوثنية القديمة وأهل الديانات السماوية، وكأنهم جميع اصبوا من حيث واحد بل كان قبسا من نور روحانيتهم في قالب واحد، و استمدوا تلك الروحانية من نبع غير نور هذا العالم يسري في كيانهم، وينير السبيل أمامهم لليل مطلبهم ولا يبحث أكثرهم عن دليل على صدق نزعتهم فاستمساكهم بمبادئهم وتشبثهم برسالاتهم لا يضره قيل وقال الآخرين وإن تلمسنا دليلا على صدقهم، فاتفاقهم في غاياتهم وأساليبهم رغم اختلاف ديارهم وأجناسهم وأديانهم، وفيما أثر عنهم من التجارب الروحية التي تختلف في تفاصيلها وأشكالها وصورها، وتتفق في جوهرها ونتائجها، دليل واضح على سمو هدفهم الواقع أن كل إنسان قد أحب يوما ما ذلك (الوجود المحجوب) الذي يطلقون عليه اسم (الحقيقة)، ذلك لأن الحقيقة شيء أولع الإنسان بالاهتداء إليه منذ أن بدأ يفكر في نفسه وفي العالم المحيط به ليتعرف أسبابه وأسراره ومبدأه ومصيره، ولكن هذا الحب المتأصل في النفس الإنسانية، الذي من شأنه أن يدفع بصاحبه نحو البحث عن الحقيقة لمعرفتها والاتصال بها ، كما تدفعه غريزة الجوع دفعا إلى البحث عن الطعام .

التصوف في جوهره (حال) أو (تجربة روحية (خاصة يعانيها الصوفي، ولتلك الحال من الصفات والخصائص ما يكفي في تمييزها عن غيرها مما تعانيه النفس الإنسانية من أحوال أخرى، وفي هذا القدر وحده ما يكفي للقول بأن التصوف ليس فلسفة إذا قصدنا بالفلسفة البحث العقلي النظري في طبيعة الوجود بقصد الوصول إلى نظرية عامة خالية من التناقض عن حقيقته أو حقيقة أي جزء من أجزائه، وليس للصوفي - من حيث هو صوفي - أن يتفلسف بأن يتخذ من تجربته الروحية أساسا لنظرية ميتافيزيقية في طبيعة الوجود، لأن النظرية الميتافيزيقية دعوى يقال لها إنها صادقة أو كاذبة ويطالب صاحبها بالدليل على صدقها وسلامتها من التناقض، فينبغي ألا يكون أساسها تجربة شخصية أو حالا معينة يعانيها فرد بعينه، لأن مثل هذه الحال لا يقال فيها إنها صادقة أو

كاذبة ولا يطالب صاحبها بإقامة الدليل عليها، بل الناس في أمره بين شيئين، إما أن يصدقوا بما عنده أو يعرضوا عنه.

ولابن سينا كلام في الاشارات يشير به الى الذين اللذات الروحية والمعنوية ويأتي ببعض المنبهات لأمثالهم فقال: (قد سبق إلى الأوهام العامية أن اللذات القوية المستعلية هي الحسية وأن ما عداها لذات ضعيفة وكلها خيالات غير حقيقية. وقد يمكن أن ينبه من جملتهم من له تمييز ما فيقال له ...) ويدعو من لا يتفاعل مع هكذا علوم أن لا يسارع الى الانكار ، بعبارته «عليك الاعتصام بحبل التوقف وإن أزعجك استنكار ما يوعاه سمعك ما لم تتبرهن استحالته لك. فالصواب أن تسرح أمثال ذلك إلى بقعة الإمكان ما لم يذدك عنه قائم البرهان » ... ونحن إذ نشرع في هذا المقرر الدراسي نؤكد أن الغرض عرض المادة المتعارفة في هذا الدرس الاكاديمي دون تبني أي من مقولاته التي قد لا نتفق معها، وإنما نسير وفق المنهج المرسوم من الجهات العليا مع بعض الملاحظات التي نراها ضرورية أحيانا. والمصادر التي سننقل منها لهذا الموضوع هي:

المصادر المعتمدة :

مدخل الى التصوف الاسلامي – ابو الوفا النعيمي التفتازاني

التصوف الثورة الروحية في الاسلام – الدكتور ابو العلا عفيفي

تاريخ التصوف – الدكتور عبد الرحمن بدوي

صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الدكتور كامل الشيبي

الحياة الروحية في الاسلام – الدكتور مصطفى حلمي

مجموعة الرسائل الفلسفية- صدر الدين الشيرازي

ابن عربي – الشخصية البارزة في العرفان الاسلامي

أما المفردات التي سنتاولها : مدخل تاريخي ندرس فيه:

١- الاصل اللغوي والاشتقاقي للتصوف وصوفي وتعريفات التصوف اصطلاحا

٢- تمايز التصوف عن العرفان (بحسب ابن سينا - الاشارات والتنبيهات)

٣- الموقف من التصوف

٤- السمات العامة للتجربة الصوفية

٥- مراحل تطور التصوف الاسلامي (أ- زهد بسيط ، ب-زهد منظم ،ج تصوف، د-تصوف سني هـ- تصوف فلسفي)

٦- العوامل التي أدت الى انتشار الزهد في الاسلام.

٧- مدارس الزهد في الاسلام (مدرسة المدينة- مدرسة البصرة – مدرسة الكوفة).

٨- النظريات في اصل التصوف الاسلامي : الف- العامل الاسلامي أ- القران، ب- السنة

ب- العامل الاجنبي : (-العامل الهندي ، -العامل الفارسي ، العامل اليوناني ،العامل المسيحي).

٩- مدارس التصوف: مدرسة بغداد و مدرسة نيشابور

١٠- التصوف السني (القشيري)

١١- التصوف الفلسفي (السهروردي)

١٢- الطرق الصوفية

والمرحلة الثانية لهذا الموضوع هي التعرف على المفاهيم الصوفية:

١٣- الشريعة والطريقة والحقيقة

١٤- المحبة الالهية

١٥- المعرفة

١٦- الفناء

١٧- الاحوال والمقامات (منازل السائرين الخواجة الانصاري)

١٨- اللغة الصوفية

١٩- الولاية وخصائص الأولياء

٢٠- نظريات الوجود :

ملا صدرا الشيرازي

محي الدين ابن عربي